‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature
ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)

# بلاغة الذكر والحذف في ديوان الشيخ إبراهيم انياس الكولخي، (سلوة الشجون نموذجا) دراسة بلاغية تحليلية

**إعداد:**

الدكتور تجاني عمر

**مستخلص البحث:**

يعترض الاسناد حالات شتى، ذات علاقة بالأغراض البلاغية الكثيرة، وقد كان الذكر والحذف من أهم تلكم الحالات، إذ ياتي المسند إليه مذكورا لدواع وحالات تستوجب الذكر، لعدم قرينة تمنعه، ويكون محذوفا في حالات أخرى، لقرينة مانعة من الذكر، ولاسيما إذا كان المقام خاصا يقتضي الإيجاز، ولقد كان الذكر والحذف حالتين من حالات المسند إليه، التي تشمل التعريف والتذكير والتقديم والتأخير ثم الذكر والحذف، فغاية هذه الدراسة إبراز مافي ديوان سلوة الشجون، للشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، من صور الذكر والحذف، ومايدوران فيه من تقرير المعنى وتأكيده وتوضيحه في الديوان، تلك القوة البلاغية التي يتصفان بها ويتميزان بها عن غيرهما في الإسناد.

**بلاغة الذكر:**

يؤدي معنى الذكر كلُّ لفظ يدل على معنى في الكلام خليق بالذكر، لتأدية المعنى المراد به، وبموجب هذا كان ذكر المسند إليه ضروريا، حيث لاقرينة تدل عليه عند حذفه حتى لايكون عُميًا وبُهماً ويخفى المراد.

وفي بعض الحالات، يلجأ إلى ذكر المسند إليه، مع إمكانية الحذف لقرينة دالة عليه، إلا أن ذلك واقع لأغراض بلاغيةكثيرة، وفيما يلى شيء منها:

**زيادة التقرير والإيضاح:**

كقوله تعالى:"أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون،"[١] حيث ورد اسم الإشارة (المسند إليه) مكررا، تقريرا وإيضاحا، للتنبيه على إثبات الأثرة والميزة بالهدى والفلاح لهم.

ومن ذلك قول الشاعر:

هُوالشمس في الظِبا هوالدهرُ في السّطا * هُوالبدرُفي النادِي هوالبحُرفي النّدى[٢]

فتكرار ضمير الفصل في البيت (المسند إليه) ذكر، لتقرير المعنى وتأكيده في النفوس.

وقدكان للشيخ إبراهيم صور عديدة من هذا النوع، ومنها قوله:

وَأَنك هادٍ للخلائق مُرشدٌ * وأنك هاد للإله مُحَبَّبُ[٣]

يرى أن تكرار المسند إليه مع المسند (أنك هاد) مما يؤكد كلامه ويقرره في نفوس من يشك أو يتردد في كون الرسول هاد للخلائق وهاد إلى الله، ولولا هذ الذكر لتوهم العام هذه الحقيقة، وإنما ذكر المسند إليه، (الكاف) على وجود القرينة الداعية عليه لوحذف، حيث أن ذكره لأول مرة دال عليه، لكن غرضه البلاغي، الذي هو تقرير المعنى وتأكيده وتوضيحه، دفعه إلى الذكر مرة أخرى.

ومنه قوله:

هُواليُمنُ والتيسيرُ والسَّعدُ والمُنَى * لَهُ العُروةُ الوُثقَى وهُو السَّندُ الأَقَوى[٤]

أعاد ذكر المسند إليه (هو) في حشو العجز، بعد ذكره في حشو الصدر، مع أن الجوّ صالح لتركه، إذ يمكنه الاستغناء عنه بالعاطف، فيقول: "المسند الأقوى" بدون تكرار الضمير، (هو) مع إفادة المعنى المقصود، إلاّ أن ذلك المعنى لا يتأكد تأكده في حالة تكرار ذكره، إذ يوحي الذكر بإزالة الشك والتردد عن المخاطب، عن كون الرسول يمنى وتيسيرا وعروة وثقى ومسندى أقوى، مع تقرير ذلك في نفسه وتأكيده.

ومنه قوله:

سَلوتُ شُجوني في مديح محمد * فزاحَ شجوني والسرور أَتَى عِوَض[٥]

فيه ذكر المسند إليه الذي هو الضمير المتصل (التاء) ويوحى بتقرير أكيد، واثبات قوي، بأن الشجون التي دهشته قد زالت، ولامراء في ذلك، لأنه عندما قال: (سلوت شجوني) أعاد المعنى نفسها بلفظ مترادف (فزاح شجوني) الذي جاء فيه ذكرالمسند إليه، وهو الضمير المستتر (هو) في (زاح) وهذا الذكر يروع المقام، ويجل في الأداء، وهو لا يقصد إعادة المعنى السابق في الجملة الأولى فقط، حين أردف الجملة الثانية إليها، وإنما غرضه توضيح المعنى وتقريره في النفوس، حتى يتأكد السامع أنه مرتاح وسعيد بقرض مدائح الرسول صلى الله عليه وسلم تعترضه سرور خلفا عن الشجون مهما كان فيها.

ومن ذلك قوله:

قُصورِي مِن الطاعات يُجبَرُ كَسرُه * بِمَدح هُمام فالمحبة لي عَمَلْ

قُصورِي مَدينُ الشامُ كُوسَ وطَيبةً * وكَولخَ قد تَحيَى بِذِكر الذي كَمُلْ[٦]

ف(قصوري) يمثّل المسند إليه الذي أعاد الشاعر ذكره في صدر البيت الثاني، لتقرير ضعفه عن الطاعات، وعن الوصول إلى المدن التي يتشوقها، والتي رتب ذكرها، وهي مدين، الشام، كوس، طبيبة، وكولخ، ولواستغنى الشاعر بالذكر الأول عن الاعادة، لما أفاد التقرير إفادته هذا.

**التأكيد:**

ويقع الذكر في بعض المواضع تأكيدا لفظيا يناسب المقام، كالدعاء، تأكيدا لطلبه ورغبته، ما يتبلور في قوله:

أَغِثْنِي أَغِثْنِي مُنْحَمِنًّا وَدَارِكَن * لِأَحوال عَبد غير عَهدِك ما قَبَضْ[٧]

المسند إليه هو الضمير المستتر في جملة "أغثني" تقديره "أنت"، وهو مذكور مكررا مع عامله في الجملة، لتأكيد الإستغاثة من محبوبه لتحصيل مطالبه، معتقدا أن اللفظ الواحد لا يؤدي قوة هذا الطلب.

**التسجيل على السامع:**

ومن الأغراض البلاغية التي توجب ذكر المسند إليه، التسجيل على السامع، دفعا للإنكار والتردد، وغالب ما يقع من ذلك في مجلس التحكيم، كأن يقول الحاكم لشاهد: "هل أقر عمرو بأن عليه كذا؟" فيقول الشاهد: "نعم" عمرو هذا، أقر بأن عليه كذا" فذكر المسند إليه (عمرو) مرة ثانية إنما كان للدفع عن إنكار السامع نسبة الحكم إلى عمرو، فيكون ذكره تقريرا وتأكيدا.

ومن بلاغة ذلك قول الكولخي:

نَعمْ إن خير الناس أَرجوه شافعا * لنفسي ولِلأَهلينَ إذ جِئتُ خاشعا [٨]

هذه إجابة عن السؤال بما يوقنه السامع، ويردعه عن إنكاره، حيث ذكر المسند إليه (خيرالناس)، لأن الحذف لايناسب الحال، فالشاعر كأنه سئل:"هل خير الناس من ترجوه لنفسك ولأهلك ؟" فلم يقل: "نعم أرجوه لنفسي ولأهلي" خوفا من وقوع اللبس وإنكار السامع في أن من يرجوه الشاعر هو خير الناس، فتفطن ضرورة إعادة ذكر خير الناس (المسند إليه) خلال هذه الاجابة، لإزالة اللبس والخفاء، ودفعا للإنكار بأن خير الناس هو من يرجوه الشاعر لنفسه ولأهله جميعا.

ومما زاد النص وضوحا، تأكيد المسند إليه ب"إنّ" لازدياد القوة اليقينية، وتكرار اللاّم المشعرة بغاية الانتهاء، والإيحاء بالمبالغة.

**التلذذ:**

كثيرا ما يُذكر المسند إليه تلذذا، بترداد ذكره وتكراره، كما إذا قلت: "محمد حبيبي، محمد رسولي"، ونحو: "الله ربي، الله حسبي"، فإعادة ذكر اسم الله واسم محمد على أنهما مسند إليه من باب الذكر، تلذذا وتمتعا بترتيب اسماء محبوبه والاستنشاط بها.

وقد أدلى الكولخي دلوه في هذا المدى البلاغي عندما يقول:

مُحمد محمود محمد أحمد * محمد مختار حبيبي المُقدَّم[٩]

وليس ذكر المسند إليه (محمد) ثلاث مرات مع المسند (محمود أحمد مختار) في هذا الموضع سوى التلذذ، والشعور بالمتعة، والنزهة، والراحة، والارتياح، بسرد أسماءه صلى الله عليه وسلم، ولولا ذلك لكان ذكره مرة واحدة، كاف لأداء جميع المعاني المحمودة، والأحمدية، والمختارية، والمحبوبية العظمى، التي تمثلت كلها في التركيب الإسنادي، بين المبتدإ والخبر، كما سبق في البيت، للتلذذ والتمتع بترتيب اسماء محبوبه والاستنشاط بها.

وينتمي إلي ذلك قوله:

سَلامٌ على خير الأنام محمد * سلام على من حبه القَلبُ يَكلمُ[١٠]

سَلامٌ على خير القبورجميعها * سلام عليه وهو أَبْهَى وأَفخَمُ[11]

سَلامٌ على هادي العباد محمد * سلام على خيرالورى وهُوَ أَعظمُ[١٢]

حيث تقع كلمة السلام مسندا إليه وشكل تركيبها الإسنادي مبتدأ وخبرا، فالشاعر فطنٌ ومتنبهٌ بأن مقام المدح أنسب بأطايب الكلام، ومحاسن الألفاظ، إذ أن الكلام الحسن الطيب لذيذ أيّما لذة في المسمع والقلب واللسان، قلما يُرجي توقفه وانقطاعه ولو طال، بل كان الإكثار من ذكره، أفضل وأحب من التقليل منه، مع كون المدح يشترك في حبه العام والخاص، ولهذا الموجب لم يسكت الشاعر عند ذكر لفظ السلام لأول مرة، فكرره ست مرات، تلذذا به، ولاسيما كونه تحية طيبة، على خير الأنام، وخير المحبوب في القلوب، وخير الورى، وأبهى الناس، وهادي العباد إلى الله، وعلى القبر الذي يتميز بالخيرية على جميع قبور العالم، مع ما توحي به من الأمن والأمان على صاحب هذه القبور.

**التعريض بغباوة السامع:**

يقصد به الجواب عن سؤال، إلا أن المسئول يعتبر السائل غبيا، بطرحه عليه ذلك السؤال فيجيب له بما يناسبه، نحو:"جميل فعل كذا"، جوابا لمن قال:"ماذا فعل جميل" فذكرالمسند والمسند إليه، لتأكيد أن الفعل صادرمن جهة جميل لامن غيره.

وقد فعل مثل الكولخي مثل ذلك عندما يجيب عن سؤال، ليؤدي المعنى على وجه التأكيد والتقرير قائلا:

نَعَمْ نَقمُوا مِنَّا اقْتِفاءَ لِنَهجِ مَن * بَعَثتَ إليه وَهْو بَحرُ الأكارمِ[١٣]

والكولخي عندما دعى الله أن يكفيه شر العدى ويسطو عليهم بقهرمانيته وبطشيته، صار كمن طرح عليه سؤال حول القضية (هل نقم الأعداء منكم فتدعو عليهم هذا الدعاء) فأجاب بقوله: (نعم نقموا منا) بإعادة ذكر المسند إليه في المرة الثانية، وهو ضمير الجمع (الواو في نقموا) والشاعر في هذا، راعي المقام

والأحوال، حيث أحس بغباوة المخاطبين بسؤاله هذا السؤال، لأن الذكي صاحب الحس المرهف، فور ما سمع ما قدمه الشاعر من الأدعية الوعيدية، يخطر بباله أن هؤلاء الأعداء قد نقموا من الشاعر، ولايحتاج إلى استفسار واستزاد، لكن الغبي على عكس من ذلك، ولما كان غرض الشاعر تأكيد المعنى وتوضيحه، استخدم أسلوب الذكر الذي يناسب العامة أمثاله.

**الرد على المخاطب:**

يقع هذا الغرض من الذكر ردًّا على المخاطب، عندما يكون منكر الحكم معارضا لما هو واضح بيّن، لوتدبر علاماته لما وجد نفسه في الإنكار، كقولك لمن ينكر وحدانية الله، زاعما الله ثالث ثلاثة "الله واحد" ردًّا عليه، لأن علامات وحدانيته واضحة أمامه ووراءه.

فقد قال الكولخي مثل ذلك في التالي:

بَلَى إن حبَّ الهاشمي رَباحُ ومَدحي له سِحرً أَراهُ مُباحُ [١٤]

يبدو أن الشاعر قد اشتد عليه اللوم المتواتر من الأعداء ومنكري مدح الرسول، بأنه يقضي حياته ويسرف أوقاته فيه بدون جدوى، لا ربحا ولا فائدة، لما كان منهم من إنكار أفضلية الرسول المطلقة على الخلق وإباحية مديحه، فضلا من أن يوجد الربح فيه، وكأنه سأله أصحابه أليس في حب الهاشمي رباح؟ فلما أحس الإنكار من قوم خارج أصحابه أجاب ببلى، ذاكرا المسند إليه، (حب الهاشمي) مؤكدا بإنّ، بعد أن سبق ذكره عند السائل المنكر، فأعاده الشاعر للتأكيد والتقرير، ردًّا عليهم.

**بلاغة الحذف:**

يُعدّ الحذف "ظاهرة الشجاعة العربية، وسمة أصالتها الأدبية، تدفعهم إلى الكلام، وتحرّض النفس إلى إزالة ما يشين، وإذا وقع الحذف في موقعه المناسب، كان أحسن من ذكره، ويدل جماله على أمارة الذكاء والكمال والتمام، خصوصا فيما يغلب على بلاغته من الإعظام والإكبار عند ذهاب النفس إلى تشوقها، فترجع قاصرة على إرادتها."[١٥]والمقصود من الحذف هنا حذف المسند إليه، وهو عند البلاغيين قسمان:

قسم يظهرعند الإعراب المحذوف بالتقدير، نحو: "أهلا وسهلا" فإن نصبهما يدل على ناصب محذوف يُقدر ب(جئت ونزلت) نحو: جئت أهلا ونزلت سهلا".

وقسم آخر لا يظهر فيه المحذوف بالإعراب وإنما تعلم مكانه عند الإفصاح بالمعنى وتجده لايتم إلا بمراعاته، نحو: "يعطي ويمنع" بمعنى يعطي ما يشاء ويمنع ما يشاء، ولكن لاسبيل إلى إظهار ذلك المحذوف، ولو أنت أظهرته زالت بجبهتة وضاع رونقه.

ورجوعا إلى القسم الأول، يلاحظ أنه ليس من البلاغة في شيء، لذا، لم يوله الكاتب اهتماما، أما القسم الثاني ففيه تظهر دقائق البلاغة، ومكنون سرها، وروائع أساليبها، وفي حقه يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: "إنه باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ماتكون إذا لم تنطق، وأتم ما يكون بيانا إذا لم تُبيّن، وهذه جملة قد تتكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر.[١١]

وبناءا على ما سبق، يتضح أن الحذف أقوى تأكيدا وتقريرا وتوضيحا من الذكر، وأنه أنسب لمقام الخاص عند الخطاب، حيث إن الذكر أنسب للمقام العام، ولكل مقام مقال.

وقد ذكر البلاغيون "أن من شرط حسن الحذف ألا يظهر المحذوف، لأنه متى ظهر ذهبت بلاغة الكلام ورونقه وطلاوته، وصار إلى شيء غث لاتناسب بينه وبين ما كان عليه أولا."[١٢]

والأغراض التي تدعو إلى الحذف كثيرة، منها:

١- ظهوره بدلالة القرائن عليه، نحو قوله تعالى:"فصكّت وجهها وقالت عجوز عقيم"[١٦] أي أنا عجوز، فحذف المسند لدلالة القرينة عليه.

٢- اخفاءا الأمر عن غير المخاطب، نحو" أقبل" تريد عليًّا مثلا .

٣- تيسير الإنكار عند الحاجة، نحو: "لئيم خسيس" بعد ذكر شخص.

٤- الحذر من فوات فرصة سانحة، كقول منبه الصياد، "غزال" أي هذا غزال .

٥- اخبار تنبه السامع، أو مقدار تنبهه، نحو: "نوره مستفاد من نور الشمس" أو "هو واسطة عقد الكواكب" أي "القمر" في كل المثالين.

٦- ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجر وتوجع، كقوله: "قال لي كيف أنت"؟ قلت: عليل سهر دائم وخزن طويل"[١٣] أي لم يقل أنا عليل ولا أنا خزن، لضيق المقام بسبب الضجر الحاصل له من الضنى.

المحافظة على القافية نحو:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولابد يوما أن ترد الودائع[١٤]

فلو قال : أن ترد الناس الودائع، لاختلفت القافية، لكونها مرفوعة في الأول منصوبة في الثاني.

٧- **المحافظة على وزن**، كقول الشاعر:

علي أنني راض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لاعلى ولاليا[١٥]

أي لاعلي شيء ولا لي شيء.

❖ **كون المسند إليه معينا معلوما"حقيقة"** نحو "عالم الغيب والشهادة"[١٦] أي: الله عالم الغيب.

❖ **تكثير الفائدة:** نحو قوله تعالى: "واستوت على الجودي"[١٧] أي السفينة استوت على الجودي، ونحو قوله تعالى: "حتى توارت بالحجاب"[١٨] أي توارت الشمس بالحجاب.

فالأغراض الداعية إلى الحذف كثيرة[١٩]، ولم يرد جميعها في ديوان الكولخي، وغاية هذه المقالة إبراز الصور الواردة منها في الديوان، ودراستها دراسة بلاغية ما أمكن، ويكون على النحوالتالي:

❖ **المحافظة على الوزن .**

ومن ذلك قوله:

خَديمٌ ثَوَى بالباب والحُبُّ رَاسخٌ * بِقلب له وهو المدائح نَاسِخ[٢٠]

لجأ إلى الحذف لبناء البيت على حسن الوزن حفظا عن الانكسار، وقصدا لإعجاب السامعين، إذ لو ذكر المبتدأ الذي هو المسند إليه، وقال: "هذا خديم" لانكسر الوزن وذهب كماله وروعته، ففي قوله: "خديم ثوى بالباب" حذف للمسند إليه الذي هو المبتدأ، ذلك لأن تقدير الكلام عند الإعراب "خديم" خبر لمبتدإ محذوف تقديره: "هذا" أي هذا خديم ثوى بالباب، فهذا الحذف قد فتح باب الإيجاز بالحذف، لتلخيص المعاني الكثيرة تحت ألفاظ قليلة، تلك المعاني الجليلة التي تشير إلى مدى رسوخ قلب الشاعر بالمحبة والشوق والحنان، الذي دفعه إلى تنشيد مدائح الرسول أمام بيته.

**المحافظة على القافية:**

يعترض بعض القوافي للتغيير المفضي إلى العيب فينتبه الشاعر ما وراء ذلك من خطر الوقوع فيه، فيلجأ إلى ضرورة شعرية مرضية عند العروضيين، وتارة يلجأ إلى الذكر أو الحذف. فقد كان الكولخي من الشعراء الأمجاد الذين يتفطنون لهذا الأمر الخطير، ففرارا من ذلك كان يكثر حذف بعض ما يحتاج إليه الحذف،للحفاظ على القافية وإقامتها، ومن ذلك ما فعله في قوله:

فعِشْ مَرَحا مادُمتَ تدري محمدا * فدَارِي سُمَى المَأمُونِ في دهره حُفِظ[٢١]

فالداعي إلى حذف الفاعل الذي هو ضمير الجمع للمتكلم، (نا) الدالة على الفاعل تسليم القافية عن التغيير المخل للوزن، لأنه إذا ذكر الفاعل تغيرت القافية المقيدة إلى القافية المطلقة، فهذا غير مقبول عند العروضيين، [٢٧] ولذا، مال إلى مافيه جمال وتوازن حسن، تاركا الذكر إلى الحذف، ولم يقل "حفظنا" فصار الكلام رائعا مستوراً، لايطلع على خفاياه إلا من له أهلية بذلك من خواصه، لأن الحذف إيجاز، والإيجاز مقام للخاص.

ومن ذلك قوله:

عليه صلاة الله ثم سلامه * يُساق لنفسي الدهرَ منك مَرامُها[٢٢]

لامندوحة من تغيير القافية لوقال الشاعر "يسوق محمد الدهر مرامها" لأن قافية القصيدة متحركة بالرفع، وإذا ذكر الفاعل فلا مانع من تحركها بالنصب، فيمس القافية ويفسد نظامها، لكنه أعاد الضمير إليه في قوله: "منك" للدلالة على المحذوف بالقرينة، وهذا الحذف قد زاد من رونق الكلام، وحفظ أسرار المعنى حتى لايتطلع عليها غير خواص أهلها.

**ظهوره بدلالة القرائن عليه:**

وقد يحذف المسند إليه إذا سبق ذكره، أو دلت عليه القرائن، حتى لاتكون إعادته تطويلا، فتذهب بحسن المعنى وبهجته.

ومن ذلك حذف المبتدأ في قول الكولخي:

هَنِيئًا لإبراهيم لاحَ هِلاله هلال بَدَى للناظرين جماله

هِلالُ ربيع فيه جاء محمد وتَمَّ لنا البشرى وعمَّ نَوَاله[٢٣]

ف(هلال ربيع) خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو" فقد دلت القرينة في البيت السابق عليه، ولذا حذفه الشاعر في البيت التالي للإيجاز، مراعيا للمقام والأحوال، لأن بناء الكلام على ذكره في هذا المقام، نفي لشرفه وبهائه، وإخلال لوزنه، وباعث إلى ثقله في اللسان، عندما يقول:"هو هلال ربيع" فلا تجد فيه خفة ولا سهولة في النطق، ولا ذوق عند الاستماع، بالموازنة ب(هلال ربيع الأول).

**ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجر وتوجع:**

كان طبعيا أن يجد الإنسان نفسه في حالة من الاضطراب والخجل، أو التضجر والتوجع، فيضيق له المقام، بحيث لاتوجد فرصة للإطالة في الكلام مع المخاطب، فيوجز كل ما يلقى إلى المخاطب عن طريق حذف مايجوز حذفه، وإذا سئل عن شيء يجيب موجزا، بحذف ما هو صالح للحذف.

وإنّ للكولخي حالة من هذه الحالات المضطربة المرتبكة، والتي تجعله مضطجرا متوجعا، وفي هذه الحالة إذا تكلم أوجز وإذا سئل أجاب بالايجاز، بحذف بعض العوامل، كما فعل في البيت التالي:

ضَعِيف حقير مُذنِب جاء شاكيا * أتاك رسولَ الله لِلْمدح حَاكيا[٢٤]

هذا الحذف يمثل إيجازا رائعا، لأن حالة الضعف والحزن لاتسنح الفرصة للمتكلم أن يطيل مع المخاطب، إنما شأنه في الحال أن يوجز ماعنده ويلقيه إليه مباشرة، فالباعث إلى حذف المبتدإ ضيق مقام الشاعر من الشعور بالضعف والحقارة، من أجل الذنوب الذي استثقل ظهره وهو شاك حالته إلى رسول الله،

ولعله –وهو في هذه الحالة– سأله سائل "من جاء إلى باب رسول الله" فأجاب: "ضعيف حقير مذنب" بحذف مسند إليه (أنا) الذي هو المبتدأ، فأبى أن يقول:"أنا ضعيف حقير مذنب" ليتم اخلاصه وتواضعه وتضرعه عند حبيبه صلى الله عليه وسلم، على أن ذكر ضمير المتكلم في هذا المقام، داع إلى الإعجاب بالنفس والفخر والإعزاز، وهذا لايليق بمقام الصوفي الأواب إلى الله، والواقف أمام رسول الله، يقدم شكواه علّه يوافق وينال مرماه، فالحذف أنسب وأحسن منه قي المقام.

**كون المسند إليه مُعيّنا معلوما حقيقة:**

يأتي المسند إليه مُعيَّنا معلوما، بحيث إذا ذُكرت صفته يُعرف أنه صاحبها حقيقة، فإذا دلت عليه هذه القرينة يحذف للإيجاز، ومن أحسن ذلك قول الكولخي:

بَصِير خبير قادر وانتِقامُه شَديد على الأعداء أهلِ المَظالم[٢٥]

فالشاهد هوحذف لفظ الجلالة (الله) لدلالة الصفة عليه، (بصير خبير قادر شديد) فلفظ الجلالة المحذوفة هي المسند إليه، وصاحبها الحقيقي هو الواحد القهار لايشاركه فيها أحد على وجه الحق، فصفات البصر والخبرة والقدرة والشدة، قرينة دالة عليه، ولذلك حذف لمطابقة المقام الذي لايناسبه إلا الإيجاز.

ويواصل في هذا المدى:

رَسول أَمِين وهو هاد ورحمة أبو القاسم المنصور تُرسِي وأَسْهُم[٢٦]

والمحذوف هو (محمد) للعلم به، والقرينة دالة عليه، إذ هي صفاته المعروفة، وهي "رسول، أمين، هادي، رحمة " ثم بدلها بكنيته المشهورة، التي تزيد المسند إليه وضوحا، والمسند إليه هو المبتدأ المحذوف، لأن التقدير هو"محمد رسول أمين....." فحُذف لدلالة صفاته عليه، على أن ذكره يصك الآذان، وتشمئز به مسامع الخاص، ويمنع من استقراره في نفوسهم لأنه لا يناسب مقامهم.

**إخفاء الأمر عن غير المخاطب:**

يكثر استعمال هذا الغرض البلاغي حيثما يريد المتكلم ستر كلامه، وإخفاءه عمن لايعنيه، كي يقتصر مفهومه على المخاطب لا على جميع السامعين، فيعمد على الحذف ليجلي قيمة كلامه عليه، وتقوى بلاغته لأداء المعنى العميق، بالصورة الشريفة من الحذف، ومن أبلغ ما جاء في ديوان الكولخي من هذه الصورة، حذف اسم كان، بعد إقامة الدلائل عليه، وذلك في قوله:

وَلَمْ أَرجُ إلاَّ أنَّ أحمد شافع لِمَن قال سطرا في ثَناهُ وماعَمِل

وَإِنْ لَم يَكن قد صحَّ عنكَ لقد جَرى به مَثلُ والعُربُ ما غَيَّرُوا المَثَل[٢٨]

حذف اسم كان الواقع في جملة الشرط ودل عليه خبره، وذلك في قوله:"وإن لم يكن قد صح" لأن الحذف أبلغ في التأثير وأدق في المعنى، وأخفى على أسراره، وأخص في مقامه، وأصل الكلام "وإن لم يكن الحديث قد صح،" وذلك فيما سبق من البيت الأول، أن الشاعر اقتبس فيه حديث الرسول القائل: بأن من قال عنهس بيتا أو بيتين فهو شفيع له يوم القيامة، ولولم يعمل شيئا من الطاعة، ولكن الحديث قد واجه هجوم العلماء بالانتقادات، حيث ضعفه الكثير منهم، ولذا قال في البيت الثاني:"وإن لم يكن قد صح"، أي إن لم يكن ذلك الحديث صحيحا، فقد اشتهر في المثل العربي، فما كان مشهورا منه فلا داعي إلى تغييره، فيبقى كما هو، لأن العرب لايغيرون المثل.[٢٩] فقد خص الشاعر المخاطب بهذا الكلام لما حذف المسند إليه، لأن الذي لم يتلق البيت الأول، لايفهم المغزى الحقيقي في البيت التالي.**تكثير الفائدة:**ويحدث الحذف تارة لفوائد، منها الشعور بالإخلاص والتصديق والفناء الذاتي في المحبوب، ومن أروع ذلك ما يقول الكولخي:

سِفارٌمَعَ الهادي لذلك لا نَخشى هَوَانا ولا ظلما وجَوْرا ولا بَطْشا[٣٠]

خلع النصّ ثوبا رائعا، ووهب له قوة وحيوية بحذف المبتدإ (نحن) وإقامة الخبر مقامه، (سفار) والمبتدأ المحذوف ضمير للمتكم عند تقدير الكلام، نحو:"نحن سفار مع الهادي" ففي حذفه شعور وإيحاء بالإخلاص والتواضع وصدق المحبة وقوة العاطفة والفناء في رسول الله (ص)، الأمر الذي أذهب عنهم الخشية عن مظلمة الناس ومهانتهم وجورهم وبطشهم، وهذا لايفيده الذكر لو وقع في هذا الموضع، لأنك إذا ذكرت المسند إليه ( ضمير المتكلم) في هذا المقام، تجد المتكلم مشعرا بالعزة والعظمة والفخر والفضل والمكانة، بقوله: "نحن سفار مع الهادي"، وهذا بعيد عن دأب قوم مثلهم، وعن سلوك طائفة صوفية ملامتية نحوهم.

**الخاتمة:**

يعظم ديوان الكولخي بصور من الذكر والحذف ما أعجب الباحث حسنها وروعتها ودورها في توضيح المعاني، وتقريرها وتأكيدها في النفوس، وقد تناول من الظاهرتين ما أمكن، موضحا مفهومهما وأغراضهما البلاغية، ثم تطبيقهما في ديوان الشيخ إبراهيم (سلوة الشجون) وتوصل إلى أن بلاغتهما قوية في المطابقة ومراعات الأحوال، حيث يستعمل الذكر في موضعه الذي يناسب العام، والحذف في مقام الخاص، فيقع كلامه مقبولا، ومعانيه واضحة جليلة لدى الجميع.

**الهوامش والمراجع:**

١– سورة البقرة: ٥

٢– الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة، تقديم يحيى مراد، ط١,٢٠٠٥، مؤسسة المختار، ص: ٩٩

٣– الكولخي، نزهة الاسمع والأفكار في مديح الأمين ومعاني المختار د.ت، د.م، ص:٦٨

٤– المرجع نفسه، ص:٨٦

٥– المرجع نفسه، ص:٨٥

٦– المرجع نفسه، ص:٨٢

٧– المرجع نفسه، ص:٨٨

٨– المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٩– المرجع نفسه ، ص:٩٠

١٠– المرجع نفسه، ص:٧٠

١١– المرجع نفسه، ص:٨٢

١٢– المرجع نفسه، ص:٨٣

١٣– أغاك، عبدالباقي شعيب (الفروفيسور) أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي ، ط١، ٢٠٠٨م، دار الأمة لوكالة المطبوعات.

١٤– الجرجاني، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز(١٠٤)

١٥– الهاشمي، المرجع السابق، ص:١٠١

١٦– سورة الذاريات:٢٠

١٧– الهاشمي، المرجع السابق ص: ١٠٢

١٨– المرجع نفسه، الصفحة نفسها

١٩– سورة الأنعام

٢٠– سورة يوسف.:١٨,٨٣

٢١– سورة ... ٢٢

٢٢– والأصل في جميع المحذوفات على اخلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل عليها، وإلا كان الحذف تعمية وإلغازا لايشار إليه بحال.

٢٣– الكولخي، المرجع السابق، ص:٨١

٢٤ – المرجع نفسه، ص:٨٣

٢٥ – عبد العزيز، عتيق، علم العروض والقافية، ط، ٢٠٠٦ م، دار الآفاق العربية، القاهرة، ص:٢٢٣

٢٦– الكولخي، المرجع السابق، ص:٩٣

٢٧– المرجع نفسه، ص:٩١

٢٨– المرجع نفسه، ص:٨٩

٢٩– المرجع نفسه، ص:٨٧

٣٠– المرجع نفسه ص:٨٠